

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

موضوع المسلمين في أوروبا الجنوبية ، جدير بالبحث الدائم والتقصي الدائب ، فهو إحدى صفحات التاريخ العربي المشرق في الأرض الأوربية ، وفي مياه البحر المتوسط ، شوهها بعض كتاب الغرب المعاصرين لها ، وأغلبهم من الرهبان المتعصبين ، فنسبوا إلى العرب أعمالا هي أقرب إلى القرصنة منها إلى الأعمال الحربية الصحيحة ، وقد اعترف بمبالغاتهم الكثير من نقل عنهم من كتاب الغرب ، منذ القرن التاسع عشر .

فلو أن الفتوح الإسلامية في الأرض الأوربية ، كانت مجرد أعمال عسكرية ، لما وضحت تلك الآثار البعيدة المدى في الحضارة العربية عامة . يقول بعض المنصفين من كتاب الغرب أمثال لوبون :

« كان فضل العرب في الغرب عظيما ، وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا » .

وقال غيره :

« لو حذف العرب من التاريخ ، لتأخرت نهضة الآداب عدة قرون » .

( م ١ - المسلمون في أوروبا )

وعن دوزى :

« تاه الناس فى دياجير الجهل ، بينما سطع النور من جانب الأمة الإسلامية من علوم وفلسفة وصناعة وآداب ، .

وما أعتقد أن عملاً عسكرياً بحثاً وفتحاً حريماً خالصاً ، هدفه النفع والمغنم ، يوثق مثل هذه الثمار ، التى هى من صميم أعمال السلم .

والفتوح العربية الإسلامية ، تختلف اختلافاً كبيراً عن الغزوات الجرمانية ، وحسبنا دليلاً أن الشعوب الأوروبية الحديثة ، وأصول أغلبها من الجرمان ، نعتت الفترة التى اشتد فيها الغزو الجرمانى ، على أثر تحطيم روما أواخر القرن الخامس الميلادى ، بالعصور المظلمة ، وامتدت هذه الحقبة إلى نحو خمسة قرون ونصف . أما الفتوح العربية الإسلامية فى أوربا أو فى أى مكان آخر ، فهى مائة بالشواهد الحية الدالة على الروح الحقيقية لطبيعة هذه الفتوح : من تسامح وبناء وإصلاح وإيثار للسلم .

لقد كانت الإمبراطورية الإسلامية برمتها ، مثلاً حياً لنظام سياسى قام فى أوربا وسيطر على حوادثها ، منذ مطلع القرن التاسع الميلادى ، ولم ينته رسمياً إلا فى مطلع القرن التاسع عشر .

يقول بريسى Bryce — وهو متعصب فى بعض كتاباته : —

« طالما أن النبى محمداً ، قد ترك ديناً واحداً وإمبراطورية واحدة وحاكماً واحداً ، ذا سلطة نافذة ، ألا وهو أمير المؤمنين ، فما أحوج الشعوب المسيحية لمثل هذا التنظيم ولمثل هذا الحاكم القوى النافذ الكلمة التمس مثل هذا التنظيم ومثل هذه السلطة الواحدة ، ذات الشق الروحى ،

عند سيد الفرنجة ، بطل العقيدة و حامى المسيحية ، ، ألا وهو شارلمان ،  
فكانت الإمبراطورية الغربية ، وهى التى اشتهرت منذ القرن الثانى  
عشر الميلادى باسم الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

والخلاصة :

إن الفتوح العربية الإسلامية فى الأرض الأوربية ، وإن انتهت  
سياسياً وحربياً ، إلا أنها لم تلتها حضارياً وإنسانياً . وهذا هو الفتح  
الحقيقى ؟

ابراهيم على طرخان